

عنوان المحاضرة : تحليل رواية والكشف عن مضامينها

التجريب في رواية حائط المبكى لعز الدين جلاوي

التجريب بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي :

ورد مصطلح التجريب في المعاجم اللغوية ففي لسان العرب " لابن منظور "

يقول "جرب يجربُ تجربةً وتجريب الشيء حاول واختبره مرة بعد مرة ورجل مجرب:

قد عرف الأمور وجربها. ...والمجرب الذي جرب في الأمر وعرف ما عنده

ودراهم مجربة موزونة" يعني أن لفظة التجريب أخذت معنى المحاولة والاختبار .

و في ذات السياق يعرفه الفيروز أبادي في قاموس المحيط بقوله: " جربه تجربة:

اختبره، ورجل مجرب كمعظم: بلي ما (كان) عنده، ومجرب :عرف الأمور، ودراهم

مجربة :موزونة" ووجد هذا المعنى كذلك في معجم الوسيط: " جربه تجريباً

وتجربة اختبره مرة بعد مرة أخرى، ويقال :رجل مجرب: جرب في الأمور، وعرف

ما عنده، ورجل مجرّب: عرف الأمور وجربها. ”.وعليه فإنّ لفظة التجريب أخذت

معان متطابقة تصب في نفس السياق ،

أمّا اصطلاحاً :

تعددت مفاهيم التجريب واختلفت وذلك لأنه مصطلح واسع ذو دلالات فكرية ومعرفية في مختلف المجالات العلمية والأدبية، إذ يقوم بإدخال عناصر وتقنيات جديدة في شكل من أشكال الفكر أو المعرفة أو الأدب أو الفن. لنبدأ بتعريف صلاح فضل. "للتجريب": >> التجريب قرين الابداع، لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة>> فهو جوهر الابداع وحقيقته عندما يتجاوز المؤلف ويغامر في قلب المستقبل مما يتطلب الشجاعة والمغامرة، واستهداف المجهول دون التحقق من النجاح << .

أما " سعيد يقطين فيعرفه كما يلي >>..... الإفراط في ممارسة التجاوز هو ما تتم

تسميته عادة بالتجريب << وعليه نقول أن مفهوم التجريب ارتكز على تجاوز كل

ما هو مألوف و معروف ليعانق أشكال تعبيرية مغايرة إذن هو الإفراط في التجاوز

وابتكار لآليات وتقنيات جديدة

قد تعددت مفردات ومصطلحات التجريب، فنجدها تتمحور حول محاولة التجاوز،

كسر المألوف وابتكار قيم جديدة.

وقد أوردها الدكتور " مدحت أبو بكر " في أربعة عشر تعريفا للتجريب:

• التجريب هو التمرد على القوالب الثابتة.

• التجريب مرتبط بالمجتمع.

• كل مسرحية تتضمن نوعا من التجريب.

• التجريب إبداع من خلال ابتكار طرق وأساليب جديدة في التعبير الفني من

أجل تجاوز المألوف.

• التجريب تجاوز الركود.

• لا يوجد تعريف محدد للتجريب.

• التجريب مرتبط بالخبرة في مجال المسرح.

• التجريب ثورة.

• التجريب مرتبط بتقنية العرض.

التجريب الروائي :

إذا كان مفهوم التجريب مرتبطاً بالأصول العلمية، فما هو التجريب في

الأدب وما علاقته بالرواية؟

عرّفه صلاح فضل بأنه "ابتكار أساليب وتقنيات جديدة في أساليب التعبير

الفني المختلفة، وهو جوهر الإبداع وحقيقته، عندما يتجاوز المؤلف

ويغوص في قلب المستقبل".

وبهذا المعنى، فإن التجريب هو محاولة لتجاوز المؤلف والقفز فوقه،

والبحث عن أدوات جديدة تمكّن الكاتب وتعزز قدرته على التعبير عن

الواقع المتغير والعلاقات الإنسانية. إنه البحث الذي يغري الروائيين بالسعي

إلى التجريب كأفق للكتابة، بهدف تحقيق الخروج عن السائد السردى، وهو

ما يخلق بدوره علامات الجودة في هذا النوع من الكتابة التي تقطع مع

النماذج السردية.

لم تعد الرواية خاضعة لقوانين وقواعد ثابتة، بل أصبحت الرواية الآن تتميز

بنزوعها الدائم إلى تجاوز الحدود، وإغلاق أشكال جديدة، وكسر القوالب

النمطية وارتداد آفاق جديدة. فالرواية التجريبية هي "رواية الحرية التي

تؤسس قوانينها الخاصة، وتأخذ بعين الاعتبار المخيلة، وتتبنى قانون

التجاوز المستمر".

وبالتالي، يمكن تعريف "الرواية المعاصرة" أو "الرواية الجديدة" بأنها رواية

متمردة على الأشكال الكلاسيكية التقليدية للكتابة.

بعض أليات التجريب بصورة وجيزة : المنجز الروائي الجزائري أنموذجاً :

- استحضار التراث :

اعتمدت الرواية التجريبية في الأدب الجزائري على توظيف عنصر التراث،

واتجه الروائيون إلى تأصيل أعمالهم الروائية بتجاوز كل ما هو تقليدي،

وتجريب أشكال جديدة مستمدة من التراث وإعادة توظيفها بطرق مختلفة عن

تلك التي كانت شائعة في مرحلتي النشأة والتأسيس كما أن إيمانهم

بضرورة الانفتاح على التراث لم يكن انغلاقاً على الذات، بل كان حينئذٍ

رومانسيًا يستدعي التراث لمساءلة الذات من خلال تبجيل الأسلاف وتمجيد

الماضي ومساءلة الماضي وتحديد السمات المميزة والهويات الخاصة.

وبعبارة أخرى، لم يستخدم التراث لتقليده، بل كوسيلة لنقد الحاضر من خلال

الماضي وفهم أبعاده.

التراث الديني :

استخدم الروائيون الجزائريون تراثهم الديني كوسيلة مهمة في رفع مستوى

الوعي: فابن هدوقة وظف التراث الديني "كمقدمة لتحريك الجماهير من أجل

تحقيق دوره النضالي، فالطبيعة استطاعت أن تخلق من خلال الدين مساحة

للوصول إليها.

حظي هذا الثالوث باهتمام الروائيين منذ قرون، الا أن النصوص المعاصرة

في القرن العشرين أضفت على تلك التيمات أبعاد دلالية مختلفة... ذلك أن

العقود الأخيرة جعلت من هذه الموضوعات الثلاثة واجهة لتصوير التحولات

العميقة التي خلّخت علاقة الانسان بطبيعة والجسد والمجتمع من منظور

صراعي يتسم بالعنف والتشبيء وفرض الرقابة على حرية الانسان <<

أقطاب خرق الثالوث المحرم:

أ_الدين: بما أن اهم ميزة للتجريب هي كسر القواعد والثورة عليها صار

لزاما على الروائي أن يخترق هذا المحرم ويكشف المستور عنه ومجابهة

تلك الصور المزيفة لبعض رجال الدين والقائمين عليه الذين صاروا عبارة

عن أدوات سياسية يستخدمها أصحاب السلطة لايهام الشعب بصدقهم.

ب_ السياسة: جسدت السلطة الرقابية في الابداع الروائي >> حيث

شكلت اكرهات عرضت نموذجا خاصا من الابداع وتم تهميش ما لا يدخل

ضمن هذا النموذج، وخاصة مع الرواية الايديولوجية في السبعينات، ولذلك

عمدت سياسة أنذاك التعتيم على بعض الروائيين الذين يكتبون بلغة

الفرنسية ومصادرة أعمال البعض مثلما حدث لرواية " زمن النمرود " لكاتبها

" الحبيب السائح " <<

الجنس : أبرز أقطاب الثالوث المحرم، يتسمز بنوع خاص من الحساسية

وذلك لارتباطه بالدين والأخلاق والقيم والعادات والتقاليد والمجتمع . فالعديد

من الروائيين وظفوه في رواياتهم كل حسب أسلوبه وهدفه أو غاياته التي

يقصد، "

توظيف التاريخ :

ولم تتوقف مغامرة التجريب الروائي عند حدود استثمار التاريخ القديم، بل امتدت أيضا إلى استثمار التاريخ القريب وتبنيه والانتساب إليه قصد رصده، وتوظيفه إبداعيا بإحياء أحداثه، وإحداثه جماليا غدا مغريا لا ينصب الإبداع الجزائري في جنس الرواية، ناهيك أنه طيلة ما يناهز العقود الثلاثة من الكتابة الروائية عن الثورة الجزائرية، لا تنزل هذه الأخيرة تغري الكتاب بالكتابة عنها .

ابن منظور، لسان العرب، مادة (جرب)، ج1، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1410هـ، 1990م، ص 261.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (جرب)، إعداد وتقديم عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص 139.

[3] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (باب الجيم)، ط1، مصر، 1972م، ص 114.

يمكننا اجمال بعض أليات التجريب فيما يلي :

1. على مستوى الشكل:

• كسر التسلسل الزمني :

◦ استخدام تقنية الاسترجاع أو الاستباق.

◦ التلاعب بالتسلسل الزمني للأحداث.
◦ التعدد في الرواة :

◦ استخدام ضمائر مختلفة.

◦ تعدد وجهات النظر.

◦ التنوع في الأسلوب :

◦ استخدام لغة شعرية أو رمزية.

◦ مزج الأجناس الأدبية.

2. على مستوى المضمون:

طرح مواضيع جديدة :

التطرق إلى قضايا اجتماعية أو سياسية أو فلسفية.

◦ كسر التابوهات المجتمعية.

◦ التعمق في النفس البشرية :

◦ تحليل المشاعر والأفكار الداخلية للشخصيات.

◦ استخدام تقنية تيار الوعي.

◦ التجريب في بناء الشخصيات :

◦ خلق شخصيات غير تقليدية.

◦ كسر الصورة النمطية للشخصيات.

3. على مستوى اللغة:

◦ التجديد في اللغة :

◦ استخدام مفردات جديدة أو عامية.

◦ كسر قواعد اللغة العربية.

• **التلاعب باللغة :**

◦ استخدام السجع والجناس والطباق.

◦ استخدام الصور والتشبيهات.

